

روح المعاني

أخرج ابن المنذر والطبراني في الكبير وابن مردويه بسند حسن وجماعة عن ابن عباس أنه قال في كيفية امتحانهم : كانت المرأة إذا جاءت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها عمر رضي الله تعالى عنه بالله ما خرجت رغبة بأرض عن أرض وبما ما خرجت بغير التماس دنيا وما خرجت إلا حبا لله ورسوله وفي رواية عنه أيضا كانتمحنة النساء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر ابن الخطاب فقال : قل لهن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشرك بالله شيئا الخ الله أعلم منكم بإيمانهم فإنه سبحانه هو المطلع على ما في قلوبهم والجملة اعتراض فإن علمتموهن أي طننتموهن طنا قويا يشبه العلم بعد الأمتحان مؤمنات في نفس الأمر فلا ترجعوهن إلى الكفار أي إلى أزواجهن الكفرة لقوله تعالى : لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فإنه تعليل للنهي عن رجعهن إليهم والجملة الأولى لبيان الفرق الثابتة وتحقق زوال النكاح الأول والثانية لبيان امتناع ما يستأنف ويستقبل من النكاح ويشعر بذلك التعبير بالأسم في الأولى والفعل في الثانية .

وقال الطيبي في وجه اختلاف التعبيرين : إنه أسندت الصفة المشبهة إلى ضمير المؤمنات في الجملة الأولى إعلاما بأن هذا الحكم يعني نفي الحل ثابت فيه الأخلاق والتغيير من جانبهن وأسند الفعل إلى ضمير الكفار إيذانا بأن ذلك الحكم مستمر الامتناع في الأزمنة المستقبلية لكنه قابل للتغير باستبدال الهدى بالضلال وجوز أن يكون ذلك تكريرا للتأكيد والمبالغة في الحرمة وقطع العلاقة وفيه من أنواع البديع ما سماه بعضهم بالعكس والتبديل كالذي في قوله تعالى : هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ولعل الأول أولى واستدل بالآية على أن الكفار مخاطبون بالفروع كما في الانتصاف والقول : بأن المخاطب في حق المؤمنة هي وفي حق الكافر الأئمة بمعنى أنهم مخاطبون بأن يمنعوا ذلك الفعل من الوقوع لا يخفى حاله وقرأ طلحة لا هن يحلن لهم وآتوهم ما أنفقوا أي وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا إليهن من المهور قيل : وجوبا وقيل : ندبا روي أنه صلى الله عليه وسلم عام الحديبية أمر عليا كرم الله تعالى وجهه أن يكتب بالصلح فكتب : باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين تأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض على أن من أتى محمدا منقرش بغير إذن وليه رده عليه ومنجاء قريشا من محمد لم يردوه عليه وأن بيننا عيبة مكفوفة وأن لا إسلال ولا إغلال وأنهم أحبأن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جندلاب بن سهل ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد من الرجال إلا رده في مدة العهد وإن كان مسلما ثم جاء المؤمنات

مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت أول المهاجرات فخرج أخوها عمار والوليد حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلماه في أمرها ليردها إلى قريش فنزلت الآية فلم يردوها ثم أنكحها صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه .

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنه جاء تامراً تسمى سبيعة بنت الحرق الأسلمية مؤمنة وكانت تحت صفوان بن الربيع وهو مشرك من أهل مكة فطلبوا ردها فأنزل الله تعالى الآية وروي أنها كانت تحت